**المحاضرة الثانية عشرة:**

**التجديد الشعري في المغرب العربي (2)**

لم يكن الشعر الثوري مقصورا على الشاعر مفدي زكريا ولكنّا نلفيه أيضا عند الشاعر محمد العيد آل خليفة على الرغم من كونه يعدّ محافظا وحظه من التجديد أقل مقارنة بغيره من الشعراء ممن سنحت لهم ثقافتهم وسعة اطلاعهم على تنمية ملكتهم الشعرية وفق قوالب واضحة، ومع هذا يستشعر القارئ لديوانه ارتباطا لبعض قصائده بالواقع وظروفه ومنها قوله في قصيدته (صرخة ثورية)[[1]](#footnote-2):

 إذا زلـــــزلت بالخطــــــــوب البلاد فلا خيـــــــر في حـــــــــذر أو تقيـــــه

 تولـــــى الزمن الرضى بالهــــــوان ووافـــــــى زمان الفــــــدى والضحيه

 أنصلى الجحيم ونسقى الحميم ونرعى الوخيــم، ونُعطى الدنيّه؟

 أتخضع للضيم يابن الأبــــــــــاة وتطـــــــــــــــــــــرق مستسلــــما للأذية

 أما في عروقك أزكي الدما أما في فـــــــــــؤادك أذكى الحمية

 حنانك أنت رسول النجــــــــاة فأدرك من الهالكيــــــــــــن البقية

ويحيل توظيف الفعل (زلزلت) على معنى ديني مرتبط بأول فعل من سورة (الزلزلة)، إيذانا بقرب اندلاع الثورة التحريرية ورفضا للذل والصَّغار. وخاض محمد العيد في السياسة أيضا محاولة منه لوصل شعره بقضايا عصره، مثل قوله في قصيدته(يا فرنسا)[[2]](#footnote-3):

 يــــا فــرنسا ردي الحقـــــــوق عليـــــــــــــنا وأقلــــي الأذى وكفـــــــي الوعــــــــــــيدا

 نحن رغم الطغاة في الأرض أحرا ر وإن خــالـــــنا الطغـــــــــــــــاة عبيـــدا

 نبتـــــــــــغي السلم والهــــــــدوء ونـــــــــأبى أن يكـــــــــاد امـــــــــــرؤ لنا أو يكيــــــدا

فهو لا يتوانى في الردّ بطريقته على الظلمة محذرا إياهم لتسلطهم وتجبرهم، وفي الآن نفسه ينفى العبودية والاستكانة عن هذا الشعب المسالم.

وقد كان له محاولات تجديدية في الشعر التمثيلي ومنها على الخصوص مسرحيته (بلال بن رباح)[[3]](#footnote-4)\*؛ ألفها سنة 1939، تتميّز فنيا بالحوار السردي الشعري، وتعالج معنى الصبر وقوة اليقين الإنساني في الحياة ومجابهة الظلم والطغيان على الرغم من العذاب الشديد، وأن الإنسان يقدس الحرية والأفكار المعبر عنها[[4]](#footnote-5)؛ يقول في مقطع من مقاطعها على لسان بطلها[[5]](#footnote-6):

 لو أني كنـــــــــــــت حـــــرا صدعت بالدين صدعا

 كتمــــت دينـــــــــي كتمــا لم أدخـــــــر فيــــه وســــــــعا

 لو يعلــــــم القــــــوم أني عفـــت الطواغيت جمعا

 ودنـــــــــت بالله ربـــــــــــــــا ودينـــــه السمــــــح شرحــــــا

 لأوجـــــعوني ضـــــــربا وأوسعــــــــــــوني قـــــــــرعـــــــــا

فهذه الأبيات حوار داخلي (مونولوجي) يتضمن صراع الحرية مع العبودية، والشرك مع الإيمان، والقوة مع الضعف، ويعكس روح التحدي للطغاة الظلمة، وبالمقابل تتأسس المسرحية في مقاطع أخرى على أشكال أخرى للحوارات ومنها الحوار الثنائي مثلما يُـــــــلحظ في حوار أمية بن خلف وبلال[[6]](#footnote-7):

**أميّة:** وأيضا أتاني اليوم أنّك آبق

**بلال:** أنا آبق؟

**أمية:** مذ صار قلبك آبقا

 تغادر سرا وتأتــــي محمـــــــدا وتهجو له عاداتنا والخلائقا

 وتسمع ما يتلوه فينا محمد فيغدوا بما يتلوه قلبـــــك عالقا

**بلال:** أجل سيدي قد كان ذاك حقيقة كما قال لا أخفي عنك الحقائقا

والظاهر أنّ مضمون الحوار الدائر بين الشخصيتين مستوحى من الصراع العقدي بين فيئتين؛ إحداهما ضالة الأخرى مؤمنة، وهي الأفكار التي تأسست عليها المسرحية لتدل على ما للشاعر من ثقافة دينية تشبع بها في ريعان شبابه.

**خلاصة عامة:**

إنّ القول بوجود نتاج شعري بانتماءٍ جغرافي خاص يدل على ثراء فكري إيجابي يفيد الحركة الإبداعية بنأيها عن سلطة الشرق وأبوته الروحية؛ التي كثيرا ما كانت سببا من أسباب انكفاء تجارب المغرب العربي الأدبية على نفسها لعدم وجود وسائل ترويج لأدبائه سواء أكانت تلك الوسائل إعلامية أم مؤسساتية، ممثلة فيما يقدم من تسهيلات خاصة بتوفير دور النشر والتوزيع، وهي الشروط التي لم تتوفر بالقدر الكافي لظروف تاريخية مرتبطة بما تعرضت له هذه المنطقة من ظروف استعمارية قاهرة.

ومن المهم التأكيد ههنا على أن التقسيم للشعر العربي لا يطرح في سياق ثنائية المشرق/ المغرب جدلية معينة قائمة على التعارض في شكل النص الشعري ومعناه أو تجنح لتفتيت المكون الشعري العربي في كليته، بل تبدو المسألة متعلقة في طروحاتها الفنية بحركة شعرية تشترك في جوهرها اللغوي ومواقفها وبنياتها، وتختلف في مضامينها وقصدياتها لارتباطها بواقعها الخاص الذي ظهرت فيه.

لقد كان للشعراء المذكورين، تمثيلا وتوضيحا، إسهامهم الفعال في مسار تطور النص الشعري بهويته اللغوية وانتمائه المغاربي، وطرقه للموضوعات ذات الصلة براهن المنطقة في ظل حاجة المجتمع إلى توعية أفراده خدمة لقضايا الأمة المصيرية، وهذا ما يدل على أهمية توجيه المضامين المطروقة نحو الشعر السياسي التحرري والشعر الاجتماعي الإصلاحي.

1. - محمد العيد آل خليفة: ديوانه، د/ ط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2010، ص 380. [↑](#footnote-ref-2)
2. - محمد العيد آل خليفة: المصدر نفسه، ص 268. [↑](#footnote-ref-3)
3. \* ألفت هذه المسرحية بفصليها العام 1938 ونشرت العام 1950، وتأخر نشرها لارتباطها بفترة الاحتلال آنذاك. [↑](#footnote-ref-4)
4. - نور الدين عمرون: المسار المسرحي الجزائري إلى سنة 2000، ط01، شركة باتنيت، باتنة، الجزائر، 2006، ص 123. [↑](#footnote-ref-5)
5. - محمد العيد آل خليفة: مسرحية بلال بن رباح، المطبعة العربية، الجزائر، 1986، ص07. [↑](#footnote-ref-6)
6. - مسرحية بلال بن رباح، ص 10. [↑](#footnote-ref-7)